

٩

الصياد البحري

هارون

بقلم

جمال شاهين

المكتبة الخاصة

الصياد البحري هارون

النشر الاول ١٩٩٧

النشر الاخير ٢٠١٨

الصياد هارون

أما قصة الصياد البحري هارون فهي قصة جميلة فيها معان نبيلة ، فهارون صياد يملك شبكة صيد قديمة ، فبعد صلاة الفجر ينطلق إلى شاطئ البحر فيقذف شبكته في الماء ؛ فإذا خرج بها شيء فرح وسعد ، وذهب إلى السوق فباع ما صاد واشترى طعامه من الخبز واللحم وأحيانا الحلوى أو الفاكهة ، ثم يعود لكوخه الصغير فيجد الزوجة في انتظاره ، فتعد له الطعام الذي ابتاعه ، ويقضيان يومها في سعادة ومرح ، وعندهما قناعة تامة بأن رزقهما على الله فعليه توكلا ، وقد قيل قد أفلح من كان رزقه كفافا وقنعه الله بما آتاه .. هارون وزوجته مروة لا يحلمان بقصور شامخات ولا بجنان باسقات ، وأعظم حلم يحلمان به في هذه الدنيا الفانية أن يهبهما الوهاب وليدا سواء كان ذكرا أم أنثى ، فهذا حلمهما الأعظم الذي يتمنيان أن يتحقق لهما في حياتهما الدنيا ، فهما زوجان منذ عشرين سنة ولم يقدر الله لهما الذرية بعد ، ومع هذا فأملهما كبير برحمة الله التي وسعت كل شيء علما .

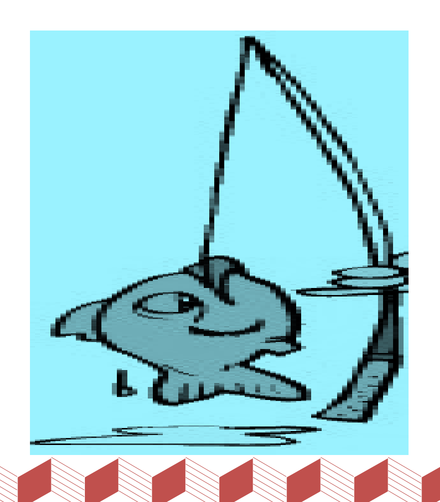
هذا هو يوم عمل هارون .. أحيانا أخرى لم يكن يصيد هارون شيئا ، فيعود عند الظهيرة فيمر على صاحبه الخباز فيأخذ رغيفين ، ويمرّ على البقال أو الجزار فيأخذ حاجته ويعود للبيت متأخرا عن العادة ، فيجد

الزوجة تستقبله بلطف وصبر ورضا ، وهكذا الحال إلى أن جاء يوم متأخرا ، فأدركت الزوجة أنه لم يصب شيئا ، فلما أكل وشرب كالعادة ، بشرته زوجته بأنها حامل فلم يصدق للوهلة الأولى ، ولما أكدت له حملها وأنها صبرت عن إخباره حتى تطمئن وتثق بحملها ، فأخذ الصياد البحري يقفز في الهواء من شدة الفرح .. وخيمت على البيت سعادة جديدة كانا ينتظرانها منذ عشرين سنة مرت عليهما ، وأخذا يحسبان الأيام بالساعات ساعة بساعة إلى أن أهل المولود لهذه الدنيا بقدر معلوم ، فسمياه فرجا لأنه مولود ذكر .



وكان هارون من شدة حبه لفلذة كبده عندما يرجع من صيده اليومي يلازم الطفل ، وكم ينزعج ويتألم عندما يسمع بكاءه ؟! وأحيانا تطفر الدموع من عينيه تأثرا ببكاء الصبي الرضيع ، وقد قام الزوجان بتربيته خير تربية من عناية و محافظة ، ولما بلغ السنوات الأولى من عمره ألحقه

الصياد البحري بأحد كتاتيب الأطفال المنتشرة في المدينة الصغيرة ليتعلم شيئا من القرآن ، والذي تطور في حياة هارون أن أصبح يخرج للصيد جولتين مرة في الصباح ومرة ثانية في المساء ؛ ليستطيع دفع تكاليف الكتاب ، ومع ذلك مرت الحياة هادئة رتيبة إلا من بعض نوبات المرض تمسهم فتنغص حياتهم بضعة أيام أو ساعات ، ثم تعود الحياة لطبيعتها الهادئة ، وأكثر القلق والخوف يصيبهم عندما يمرض الابن الوحيد فرج



سمكة فرج



كبر فرج وأصبح ابن خمس عشرة سنة ، وقد تعلم مهنة الصيد من والده ، وكان يشارك الوالد في صيده ، وذات يوم كان يحرك الشبكة ـ وكان والده يتحدث مع صياد آخر ـ فأحس أنها صادت شيئا ما فصاح بفرح : أبي .. أبي .. الشبكة ثقيلة تكاد أن تجرني .

أسرع الصياد ملبيا النداء ولما أمسك بالشبكة وحركها قال : إنها ثقيلة فعلا .. الله اعلم ما الذي علق بها ؟!

وتعاونا على سحبها وساعدهما جارهما في الصيد ، وخرجت الشبكة بسمكة كبيرة تزيد عن خمسة أذرع ، ولما استقرت على البر ، قال جارهما : يا أبا فرج .. هذه سمكة مميزة وكبيرة فالأفضل أن تذهب وتبيعها للأمير في قصره .. فسوف يدفع لك مبلغا كبيرا فيها .. واذكر أمامه أنك خصصته بها فسوف يسر من ذلك .

ووجد الاقتراح هوى في نفس هارون الصياد ، فهو يطمع بمبلغ كبير ليشتري به بيتا كبيرا ريثما يكبر ولده فرج ويزوجه من عروس جميلة .

فاستأجرا عربة لحمل السمكة الكبيرة ، وساروا خلف العربة نحو قصر الأمير في أعالي المدينة ، فرحب بهم حرس الباب واخبروا السلطان بالسمكة الكبيرة ، وفي هذه الساعة كان يجلس الأمير هو وزوجته وابنته الأميرة " جنة " فأمر بإدخالها ، فأعطى الصياد سائق العربة أجرته ، وحمل السمكة هو وابنه فرج ودخلا بها حيث يجلس الأمير ووضعاها بين يديه ، فتعجب السلطان وزوجته وابنته من حجمها وقال : إنها حوت صغير ! .. أيها الصياد ! كيف اصطدتموها بهذه الشبكة العتيقة ؟

فأخذ الصياد يروي قصة صيد السمكة ، وكان الشاب فرج يختلس النظر للأميرة الجميلة الشابة التي راقت له ووقعت من نفسه موقعا حسنا ، وأخذ يحلم أحلاما كبيرة ، والفتاة شعرت بنظراته نحوها فرمقته بنظرة طويلة فلحظت احمرار وجهه فقالت في نفسها : إنه ابن صياد فقير وأنا ابنة سلطان .. لا يا نفس .

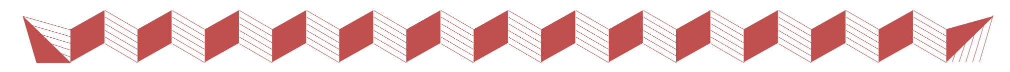
ولكنها ابتسمت للغلام الذي انبهر بها ، وأحس بالفرق الكبير بينه وبينها وتمنى لو لم يدخل هذا القصر أبدا ولم يرى هذه الفاتنة .. فهذا حلم صعب المنال .. فأطرق حياء مما خطر في قلبه واستغفر من وسواس نفسه .. ولكن النظرة في أوقات يعقبها حسرة وندامة ، وكما قيل في الحكم النار من مستصغر الشرر .

حلم ابن الصياد

دفع السلطان للصياد خمسين دينارا مقابل السمكة الكبيرة ، ففرح بها الرجل فرحا كبيرا لا يوصف وقبل يد السلطان من شدة الفرح ، وفعل ابنه فرج مثله ، وغادرا القصر ، وكان الأب يكاد يطير من السعادة ، والابن حزين من تلك النظرات التي كانت بينه وبين الأميرة الحسناء ، ولما وصلا البيت وجدا الأم قلقة عليهما ، فلما اطمأنت عليهما وسكنت جوارحها وقلبها ، قص عليها الأب قصة الثروة التي هبطت عليهما من البحر ، وكان الصياد يتحدث بسعادة وحبور كأنه ملك الدنيا بهذه الدنانير التي منحه إياها السلطان ؛ ولكن الأم قد لمحت الحزن والضيق على ولدها فاحتارت في تفسير ذلك ، الأب سعيد لدرجة كبيرة والابن حزين لدرجة كبيرة ، فقالت لأبنها بعد سماعها قصة السمكة الكبيرة التي اشتراها مولاهم السلطان : يا أمي ..ما بك .. هل أنت مريض .. هل أصابتك حمى ؟!

فانتبه الصياد هارون لحال ولده فهو لم ينتبه له منذ خرجا من القصر وسمع الولد يجيب أمه قائلا : لا يا أمي .. أصابني أمر أشد وأمرّ من الحمى .

فقالا معا وبلهفة : ما هو ؟!



قال بحسرة واسف : وآسفاه يا أمي الحبيبة ! .. هل يمكن لابن صياد متواضع أن يتزوج ابنة سلطان من سلاطين هذا الزمان ؟! .



ففطن الأب لمغزى كلام ولده فعض على شفته وقال : ويحك يا فرج لعل قلبك تعلق بابنة السلطان التي كانت تبتسم لك ؟ !

فقال الغلام بكل وضوح : أجل يا أبتاه .. كانت نظرة محب .. فكأنها شعرت بخفقات القلب فابتسمت في وجهي فازدادت النار في فؤادي ..

قال الأب : يا ولدي الحبيب .. فكر بعقلك لا تستسلم لعواطفك .. وأنت في عمر تغلب على الإنسان فيه عواطفه .. تذكر يا ولدي ما بيننا من فارق فهم في الثريا ونحن في الثرى .. وهذا قدر الله .. واعلم أن الزواج كذلك بقدر من الله .. فليس إلا أن أقول اصبر صبرا جميلا .. فهذه خمسون دينارا أستطيع أن أزوجك بها من أي فتاة من بنات اخوتنا الصيادين الذين هم من ثوبنا .

قالت الأم : أجل يا فرج .. الزواج ينسيك ما وقع في قلبك من العشق .

مسح الشاب دمعة الفقر عن عينيه وقال : أنا أعي من نحن يا والديّ .. لا أريد الزواج من أي فتاة سأحاول الزواج من ابنة السلطان ..

قالت الأم بلوعة : ألا تخشى غضب السلطان ؟! .. أنت ولدنا الوحيد يا فرج لا نريد أن نشرب كأس الحسرة عليك .

قال الأب ميئسا لولده : يا فرج يا ولدي .. هذه فتاة قد تتزوج قريبا .. والمشوار أمامك طويلا .. فالأفضل أن لا تشغل بالك فيها كثيرا .. فالصبر والتقوى ينال بهما المرء ما يتمنى .

فرد الفتى بعزم الرجال : لابد من الصبر ولا مفر من التقوى .. سأمضي الآن للمسجد اعتكف فيه هذه الليلة وأصلي العشاء جماعة مع القوم لعلي أجد مخرجا مما لـمّ بي من الوجد .

ولما انطلق فرج للمسجد قال الصياد هارون بحزن : لا يدري الإنسان كيف تأتي السعادة ؟! .. لقد طار مخي من الفرح عندما قبضت من مولانا السلطان خمسين دينارا ثمنا لسمكة .. فأخشى أن تكون هذه بداية تعاستنا يا زوجتي الحنون

فما كان من الأم إلا أن قالت : سلم أمرك كله لله .. بيده مقاليد السموات والأرض .. فأنت عندما ذهبت لبيعها للسلطان كنت تسعى لسعادتنا ..



فقدر الله أن يرى ابننا الأميرة .. فهذا ليس بيدك .

قال الصياد : أنت تعلمين كم نحب ابننا فرجا ولا نحب له الشقاء والتعاسة ومكابدة الآلام ؟! .. ومثل هؤلاء الناس لا يزوجون بناتهم إلا من أبناء الملوك مثلهم .. فأخاف أن يضيع الفتى منا ونحن عاجزون أن نعمل له شيئا في هذه الحياة الدنيا .

قالت الأم بكل ثقة : ماذا نفعل ؟ .. فلنصبر ولندعو ربنا بأن يبعد عنا الشقاء والنكد .. ولنقل .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال الوالد باستسلام لمدبر هذا الكون : هو ما تقولين .. حسبنا الله ونعم الوكيل .. ومن يتقه يجعل له فرجا ومخرجا ..لا إله إلا هو .



الصياد الشاب

لما صلت الأسرة صلاة الفجر ،كان فرج قد عاد من مسجده ، وكان الصياد يستعد للانطلاق للصيد كعادته فاستشار ابنه بمرافقته فقال فرج لأبيه : أمس يا أبي أدركت أن الناس طبقات بعضهم فوق بعض ، أمس يا أبي الطيب علمت أنك صياد صغير .. وهناك صيادون كبار .. أبي الطيب أريد أن أعمل مع صيادي القوارب والمراكب .. فأتعلم منهم واركب البحر معهم .. لقد غفلت عيني أثناء اعتكافي في المسجد فرأيت نفسي في مركب كبير .. فرأيت أن انضوي تحت جناح أحد كبار الصيادين قد أصبح مثلهم .. اعلم أن الفراق عنكم بضعة ليال قد يشق عليكم ؛ ولكن عليّ أن أتغير يا أبي الطيب .. ولكنك لا ترضى لي أن أظل صيادا صغيرا .. فلم لا أحاول أن أكبر يا أبي .. أحاول أن أصبح سيدا لي مراكب وعندي رجال يشتغلون .. لماذا ؟

فقالت الأم التي كانت تسمع الحوار بينهما : يا ولدي وهل ذهابك مع صيادي القوارب سيرفع من شأنك ويجعلك من علية الناس والقوم ؟

فقال فرج : لا يا أمي .. القصد من الذهاب معهم ازدياد المعرفة عندي .. ويكبر الطموح في نفسي لعلي أصير كبير الصيادين في يوم من الأيام .. قد أصير صاحب مركب كبيرة تغوص في البحار البعيدة والكبيرة .. قد

أصبح أمير البحر عند السلطان ذات يوم من الأيام .. أما الصيد في هذه الشبكة على شاطئ البحر سيبقيني كما أنا .. عليّ أن اجرب حظي يا أمي قبل فوات الأوان .. قد تكون يا أبي الطيب قد فعلت ما أنوي فعله في أول عمرك .



كانت الدموع تتساقط على لحية الأب من كلمات ابنه ، ولما سمع استفهام ولده رد قائلا : أجل يا ولدي يحق لك أن تحاول وأن تكبر وتتغير .. لقد ركبت البحر مرة مع الصيادين وكدت أغرق في تلك الرحلة ونجوت بفضل الله تعالى فما عدت بعدها اركب البحر .. افعل ما تشاء يا بني !.. حاول .. جرب قد يكون بختك خيرا من بختنا .

التحق فرج بالعمل مع أحد المراكب الكبيرة العاملة بالصيد في الجزر وفي أعماق البحار ، وتعلم الصنعة وبدأ يلتقط أسرارها وخباياها ، وكان الوالدان في كل سفرة يغيب فيها فرج يقضيان الأيام والساعات على أحر من الجمر .. وفي دعاء وابتهال وصلاة بأن يعود المركب سالما ، وعندما

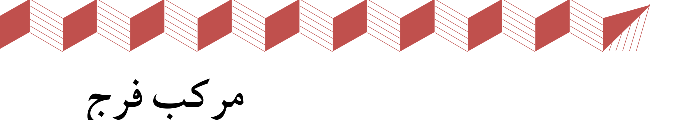
يسمعان عن عاصفة أو حادث في البحر يدب في قلبيهما الخوف والتوتر مع شدة توكلهما على الله وتأكدهما أن الحافظ للإنسان هو الله وحده ، مضت ثلاث سنوات على الأسرة ترعرع فيها فرج وكبر سنه ودخل في فترة الشباب ، وفي كل مرة يحدث والديه عن المخاطر التي تعرضوا لها في هذه الرحلة يزداد خفقان قلوبها ، وكثرت النذور منهما كل مرة يتأخر فيها ، وكان الوالدان يلحان عليه بترك الصيد في أعماق البحار وأن يفتح دكانا لبيع السمك ، خلال هذه السنوات تنقل فرج بين أكثر من مركبي ، وعرض عليه شاب من جيله أن يعمل معهم ، ولما عاد والد محصن من رحلته الأخيرة ذكر لوالده رضا فرج بالعمل معهم ، ولما حان موعد الرحيل ودع فرج والديه وداعا حارا وسألها الدعاء له بالعودة سالما .

فقال له أبوه : سوف نشتري بيتا كبيرا عندما تعود من هذه الرحلة ، ونرحل إليه ونبحث لك عن زوجة صالحة .. لعلنا نرى ذريتك قبل انتقالنا للدار الأبدية .

فعانقهما وانطلق إلى البحر مع ضوء الفجر ، فوجد أبا محصن ورجاله يستعدون للانطلاق ، ومحصن صاحبه بينهم ، واستمرت هذه الرحلة عشرة أيام عادوا منها ومعهم كميات كثيرة من الأسماك المختلفة الألوان والأحجام ، وقضى فرج عشر أشهر عند معلمه البحار أبي محصن ، ثم

عرض عليه صاحب غوص أن يعمل معه في استخراج اللؤلؤ في جزيرة الريح ، فوافق فرج وسافر معه في موسم البحث عن اللؤلؤ ، واستغرقت رحلتهم فصل كامل من العام ، وعاد للمدينة وقد أخذ نصيبه من اللؤلؤ والأسماك ، وكانت رحلة موفقة وطيبة ، ولقد حاول الوالدان تزويجه ودفعه للاستقرار في المدينة ، فأجاب والديه قائلا : سأبيع ما حصلت عليه من اللؤلؤ وأشتري مركبا صغيرا .





مركب فرج

تيسر له شراء مركب صغير ، واستعان ببعض البحارة وسافر إلى إحدى الجزر التي تكثر فيها الأسماك الضخمة ، ولما اقتربوا من تلك الجزيرة هاج البحر وماج ، فهبطوا للجزيرة بسلام وجروا المركب على الرمل وثبتوه بأوتاد قوية حتى تهدأ هذه العاصفة وكان فرج ومعه أربع رجال في هذه الجزيرة فقال أحدهم : لماذا لا نتمشى في هذه الجزيرة .. وننظر ما فيها من الأشجار والكنوز ؟

فقال ثاني : نخشى ان نصطدم بوحوشها . فقال ثالث : بل نخشى ان نفقد المركب .

فقال رابعهم : يبقى أحدنا عنده .. ونتعرف نحن على هذه الجزيرة .

فاختاروا واحدا منهم حارسا لمركبهم ومشوا يتفرجون على الجزيرة حتى يخف هيجان البحر ، وساروا في الجزيرة ، وبينما هم سائرون قال أحدهم : العجيب أيها الاخوة .. أنه لا أحد يصيد في الجزيرة غيرنا .. أين أصحاب المراكب ؟

فرد آخر قائلا : لقد كان أكثر الصيادين يتوقعون مثل هذه العاصفة .. ولولا أنها تأخرت ولم تصادفنا في أعماق البحر وإلا لأصابنا منها الضرر الكبير ولكن برحمة من الله تأخر هيجانها فنجونا منها .. فاحمدوا الله على

فضله .

اجتازوا تلالا وأشجارا حتى تعبوا من المشي ، فجلسوا يستريحون ويأكلون الطعام ، وقام فرج وركب شجرة عالية وهو يقول : سأصعد لأعلاها وأنظر هذه الجزيرة من أعلى الشجرة العالية .



وأخذ يتسلق الشجرة المرتفعة في الفضاء حتى اختفى عن أعين رفقائه ، وأصبح يقف على قمتها وأصحابه يصيحون عليه بأن يهبط ويقولون : لم نعد نسمع صوتك .. اهبط .

ولما نزل قال دهشا : لقد رأيت قصرا في الجزيرة ؛ ولكنه بعيد كأنه في آخرها .

فقال أحدهم : قصر ! ..لقد جئت هذه الجزيرة أكثر من مرة فلم أرَ فيها قصرا لعلك رأيت أشجارا فخيل إليك أنها قصر .

فقال فرج مؤكدا مشاهدته : إنه قصر على تلة عالية .. وأنت يا صاحبي جئت الجزيرة لتصيد الأسماك ولم تأتِ للنظر على ما فيها من القصور

والعمران .

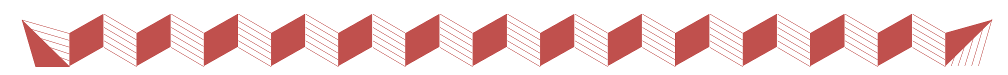
فقال رجل آخر : معك حق نحن نأتيها لنصيد ، وهذه أول مرة نحاول دخلوها .. فمن عادة أصحاب المراكب أنهم غير مهتمين بالمعرفة بما تحويه هذه الجزر .. لهم الشواطئ فقط .

فقال غيره : إذاً علينا بالوصول لهذا القصر لعلنا نجد فيه كنزا يغنينا عن صيد السمك .. فعند علمي أن هذه الجزر لا يسكنها أحد .. جزر مهجورة من بني الإنسان ، لم يصادف أحد من أهل مدينتنا أحدا فيها .. لعلنا نجد ما لم يجدوه ونرى مالم يروه .

فقال فرج مبينا لهم واجب الحذر : من الأفضل أن يذهب بعضنا حتى إذا تعرضوا للأذى قام الآخرون بمساعدتهم .. وما نجده من مال وأشياء فالكل فيه شركاء ..ومن يتطوع معي للذهاب .

وبعد تردد تطوع أحدهم بالمسير معه حيث رأى القصر ، وعاد الآخرون للقارب وقال لهم فرج : أيها الشجعان إذا لم نحضر حتى صباح الغد فأنتم بالخيار فإما أن تبحثوا عنا أو تنتظرونا بضعة أيام فإذا لم نعد إليكم انصرفوا بالقارب لبلادنا وانعونا لأهلنا .

فدعوا لهم بالسلامة والظفر ، وسار فرج ورفيقه حيث لمح القصر ، وقفل الآخرون نحو قاربهم ، وبعد مسير ساعتين ظهر لهم القصر فوق



رابية عالية فقال الرجل : والله إنه لقصر كما قلت يا أخ فرج ! .. لمن يكون هذا القصر ؟! .

قال فرج : لنقترب منه لعلنا نعرف الإجابة .

مشوا نحوه حتى وصلوه فإذا هو مطل على الشاطئ من إحدى جهاته بل متصل به بواسطة درج طويل ، فداروا حيث وجدوا مدخلا ، فحرك فرج مطرقة الباب فظهر لهم غلام ثم فتح لهم الباب بعد دقائق وهو يقول : من أنتم ؟ وما الذي أتى بكم إلى هنا ؟!

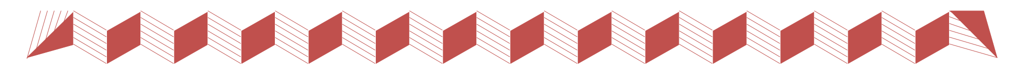
قال فرج : غرباء .. صيادون ؟

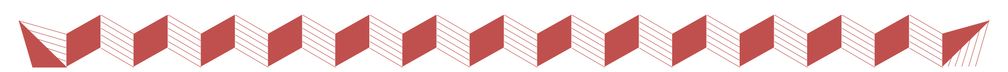
وقبل أن يسمعوا كلام الغلام ثانية ، ظهر أمامهم على مدخل القصر فتاة جميلة في ريعان الشباب ، فلما نظرها فرج اضطرب وهتف بصوت منخفض كأنه معقود اللسان : ابنة السلطان ! .

وسمع الغلام يصيح وهو ينظر لسيدته : غرباء يا سيدتي .

فقالت : مرحبا بكم .. ولكن ما الذي جاء بكم إلى هنا ؟ .. هذا قصر السلطان .. فالأفضل لكم أيها الرجلان أن تنصرفا قبل عودة أبي والجنود

فقال فرج : أنا من مدينتكم يا سيدتي الأميرة .. أنا ابن الصياد الذي دخل قصركم من سنوات برفقة أبيه يحملان لكم سمكة كبيرة .. وتبسمت في وجهه ابتسامة ما زال أثرها في قلبه لليوم .





فقالت بدون تفكير وتدقيق : إيه .. والله ما زلت أذكرك .. ذكرت لنا أن اسمك فرج

ورسمت على وجهها ابتسامة جديدة ثم قالت : كيف أنت ؟ وما قصة وجودك في هذه الجزيرة ؟

فقال فرج : ألا تكرمون الضيف ؟

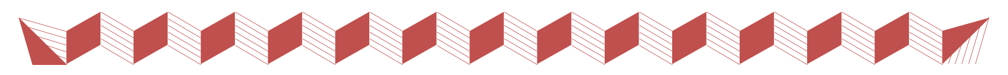
فقالت : أبي واخوتي في الصيد يا هذا .. ولا أستطيع إدخالكم القصر فلا يوجد فيه إلا أنا وهذا الخادم .. فقالت : انتظروا عند الشاطئ حتى يعود والدي ويكرمكم .. وسأرسل لكم طعاما مع الخادم وحدثوه بقصتكم لأسمعها منه ودخلت القصر .

شعر رفيق فرج ما به بصاحبه من هوى نحو هذه الفتاة ، وعجب من معرفته بها فسأله عن ذلك ، فروى فرج قصة السمكة الكبيرة لرفيقه الصياد ، وازداد الرفيق عجبا من عشق صاحبه لهذه الأميرة الجميلة ؛ ولكنه أعاد على مسامعه الفارق الكبير بين ابنة السلطان وابن الصياد ، وأكلا ما قدمه لهما الغلام وقال الرفيق : ألا نعود لأصحابنا فالظلام على وشك الدخول يا صاحبي .

ومضى فرج مع صاحبه ساهما حزينا ، فلما وصلا المركب كان الظلام على أشده ، وكان الأصحاب في غاية القلق ، ودهشوا عندما علموا بوجود

القصر حقيقة ، وازدادوا دهشة واستغرابا عندما علموا هوى صاحبهم الصياد الصغير بابنة سلطانهم ، ولما أصبح النهار كانت العاصفة قد خفت حدتها فباشر الصيادون عملهم من نصب شباكهم ، وقد تيسر لهم صيد كمية كبيرة لم يكونوا يحلمون بها ، وبعد أيام استعدوا لرحلة العودة ، وأمضى صاحبهم فرج العمل صامتا لا يتكلم إلا بلا أو نعم ، وغادروا الجزيرة وقد ترك فرج قلبه في الجزيرة ، ولما وصلوا البلدة كان أغلب الصيادين في انتظارهم ، وقد فرحوا بعودتهم سالمين ، وكان أكثر الناس سعادة بعودتهم والديّ فرج ، ووجدوه حزينا على غير العادة عندما يعود من كل سفرة ، لقد كان يكون مرحا ونشطا ، فكشف لهم ما أصابه والتقائه بالأميرة مرة أخرى ، فاشتعلت نار الهوى في قلبه من جديد ، ولم يمكث قليلا حتى أصابته حمى شديدة البأس ، فمرض مرضا رماه الفراش أياما كثيرة حتى صعب الأمر على والديه غاية التعب والأسف ، فذهب الوالد إلى قصر السلطان وطلب اللقاء به ولما اجتمع به روى له قصة ابنه فرج ، فتذكره الملك واعتذر له بلطف وأدب وانصرف عائدا للبيت وحدثهم بما فعل ، فقال فرج : هل حقا فعلت ذلك يا أبي ؟؟!

قال الأب بحزن عميق : لم يكن أمامي إلى أن أحدث السلطان بذلك لعله يشفق عليك .. أنت كل شيء لي في هذه الدنيا .. فقد طال مرضك .



فقال فرج : ماذا أفعل يا أبي ؟ ليس الأمر بيدي .. سلمت أمري لمولاي العظيم فهو حسبي ونعم الوكيل .



قضاء الله تعالى

بعد شهور تعافى فرج من سقمه وعاد لركوب البحر مع الصيادين ؛ ولكن خيال الأميرة في تلك الجزيرة ما زال يراود أحلامه ، وإذا أراد الله أمرا قدره قضاه ، فسافر الشاب الصياد إلى تلك الجزيرة مع ثلة من الصيادين ، ولما بنوا كوخهم في تلك الجزيرة قال الصياد فرج لرفاقه : أريد أن أسير في هذه الجزيرة وحدي أيها الأصحاب فصيدوا ريثما أعود إليكم .

ودخل بين الأشجار وقادته قدماه نحو القصر ، فلما اقترب منه سمع أصوات خيل وأبواق ، ولما اقترب أكثر ازداد سماع الأصوات ، وشاهد جنودا حول القصر ، فسأل أحد الجنود بعد أن بين له أنه صياد أسماك ، فعندئذ قال الجندي : الأميرة ابنة السلطان تحتفل بزفافها على أمير من أمراء البلدة .. انتظر حتى احضر لك بعض الحلوى لك ولأصحابك .

وبينما الجندي ينادي على أحد الخدم ، قفل فرج عائدا ، ثم طلب منهم الانتقال إلى جزيرة أخرى ، ففك الصيادون الخيمة والقارب ، وقد يئس صاحب هذه القصة من ابنة السلطان وانقطع الأمل الذي كان يحلم به ودفن أحلامه وآماله في هذه الجزيرة وهو يقول : سيبقى الفرق شاسعا بين الأغنياء والفقراء إلى الأبد .. فالأفضل للمرء أن يتزوج من طبقته .

وبعد ساعات كان المركب يهبط بهم بجزيرة أخرى ، وما كادوا يستريحون قليلا حتى سمعوا صراخا عاليا في قلب الجزيرة ، فذعروا ووقفوا ينظرون جهة الصوت الذي تكرر أكثر من مرة فقال رجل منهم : يا قوم .. إنه صراخ .. وهو قريب منا .

فقال فرج : إنه صوت امرأة تصرخ .. ما الأمر ؟

تفقد خنجره وطلب من أحد الرفاق أن يتبعه ، وكان يتحركون مع الصوت حتى اقتربوا منه ، فهمس فرج : لقد اقتربنا يا صاحبي .. علينا بالحذر أكثر فأكثر .

ورغم شدة الظلام المخيم على المكان ، شاهدا في دغل رجلين مقنعين وبينهما امرأة ، وكانت الفتاة تصرخ وتصيح ، ويحاول الرجلان الملثمان منعها من الصراخ ويخوفانها من الوحوش حتى أن أحدهم هددها بالقتل ، فقالت لهما : سوف يقتلكم أبي أيها الأوغاد .. أيها الخونة .. بعتني أيها اللعين .

كان فرج يسمع الكلام وهو في غاية الحيرة ، فالصوت صوت يعرفه إنه صوت الأميرة التي تركها في أول النهار تحتفل بزواجها فهمس لنفسه :ما الأمر ؟! .. وما الذي جرى لها لتعذب هذا العذاب ؟! .. ومن هو الخائن اللعين ؟!

واشتد صراخ الأميرة المستغيث بمن يسمعها ، فلطمها أحدهما على وجهها وصرخ بصوت عال : لم أعد أطيق صراخك وصوتك اصمتي .

فلم يعد فرج يطيق الانتظار فقال لصاحبه : عليك بواحد وأنا بالآخر .

وزحفا بخفة نحو الدغل ثم هجما بخناجرهما على الرجلين ، وكان للمفاجأة دورها ، فقد قبض فرج على أحدهما وصرعه على الأرض بعد طعنه بالخنجر ، وفعل صاحبه مثله وصاحت الفتاة : بارك الله في همتكما .. شكرا لكما ؟

وقام الرجلان بربط الرجلين ببعض ثيابهما وقال فرج للأميرة : ما الذي يجري في الدنيا أيتها الأميرة ؟! فقالت بدهشة وقد اقتربت منهما : أتعرفني أيها الرجل ؟!

ولما اقتربت منه والتصقت به عرفته صاحت دهشة : فرج !! .. ما الذي جاء بك إلى هنا ؟!

فقال : نعم ، فرج يا مولاتي الأميرة .. القدر جاء بي هنا ، لقد نزلنا للصيد في هذه الجزيرة ، فسمعنا الصراخ فهرعنا نحوه .

فقاموا بقيادة الرجلين الجريحين نحو المركب وخلفهم الأميرة تسير ببطء وهي تعاني من الألم ، وعلى الفور أمر فرج بفك المركب والخيمة والعودة للبلد ، وتحركت المركب نحو الوطن ، وبعد أيام قضوها في البحر

كانت الأميرة تقص على والدها قصة خطفها ، أحد الأمراء طلب الأميرة للزواج ووافقت الأسرة على ذلك ، واتفق أن تكون حفلة الزواج في قصر الجزيرة لحب الأميرة لهذه الجزيرة ، ولما انتهت حفلة العرس ركبت العروس سفينة زوجها الأمير ، وفي وسط البحر تعرضت السفينة لقراصنة البحر فقتلوا من فيها وخطفوا الأميرة وأنزلوها في تلك الجزيرة وذهبوا يأتون بزعيمهم ، وتبين أن أحد المتعاونين مع القراصنة أحد خدم القصر ، قد طرد من القصر لسوء أخلاقه ، فانضم لعصابة القرصان وأوغر صدرهم لخطف ابنة السلطان ، وسر السلطان بنجاة ابنته وحزن على موت زوجها وحرسه ، وعجب كذلك لتقادير المولى العظيم ، والنهاية معروفة لكم ، فبعد زوال أيام الحزن وشفاء الأميرة من الصدمة الكبيرة التي تعرضت لها أصبح فرج أميرا من أمراء البلاد ، وأذن له السلطان بالزواج من ابنته ، فالأمر بيد الله ، وبيده وحده مقاليد الأمور ، وكل يوم هو في شأن .

تمت بحمد لله





غسان والمدينة
مكر نديم
أحلام الأولاد
أسعد وأسود
ثلاثة أبناء
ربيعة والسلطان
نبوءة سيف
عقيل والصياد
الصياد البحري هارون

